وهذا لان الشيطان خلق من النار وخلق الانسان من صلصال كالفخار
والفخار قد اجتمع فيه مع النار الطين والطين طبعه السكون والنار طبعها
الحركة فلا يتصور نار مشتعلة لا تتحرك بل لا تزال تتحرك بطبعها وقد كلف الملعون
المخلوق من النار ان يطمئن عن حركته ساجدا لمن خلق من الطين فابى واستكبر
واستعصى وعبر عن سبب استعصائه بان قال خلقتني من نار وخلقته من
طين فاذا حيث لم يسجد الملعون لابينا ادم عليه السلام فلا ينبغي ان يطمع في سجوده
لاولاده ومهما كف عن القلب وسواسه وعداوته وطيرانه وجولانه فقد اظهر
انقياده واذعانه وانقياده بالاذعان سجود منه فهو روح السجود وانما وضع الجبهة
على الارض قالبه وعلامته الدالة بالاصطلاح عليه ولو جعل وضع الجبهة على
الارض علامة الاستخفاف بالاصطلاح لتصور ذلك كما ان الانبطاح بين يدي المعظم
المحترم يرى استخفافا بالعادة فلا ينبغي ان يذهلك هدف الجوهر عن الجوهر وقالب
الروح عن الروح وقشر اللب عن اللب فتكون ممن قيده عالم الشهادة بالكلية عن عالم
الغيب وتحقق ان الشيطان من المنظرين فلا يتواضع لك عن الوسواس الى يوم الدين
الا ان تصبح وهمومك هم واحد فتشغل قلبك بالله وحده فلا يجد الملعون مجالا فيك
فعند ذلك تكون من عباد الله المخلصين الداخلين في الاستثناء عن سلطنة هذا اللعين
ولا تظنن انه يخلو عنه قلب فارغ بل هو سيال يجري من ابن ادم مجرى الدم وسيلانه
مثل الهواء لا محالة في القدح ان اردت ان تخلو عن الهواء من غير ان تشغله بالماء
او بغيره فقد طمعت في غير مطمع بل بقدر ما يخلو من الماء يدخل الهواء لا محالة فكذلك
القلب المشغول بفكر مهم في الدين يخلو عن جولان الشيطان والا فمن غفل عن الله ولو
في لحظة فليس له في تلك اللحظة قرين الا الشيطان ولذلك قال الله تعالى ومن يعش
عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض

الشاب الفارغ وهذا لان الشاب اذا تعطل عن عمل يشغل باطنه بمباح يستعين
به على دينه كان ظاهره فارغا ولم يبق قلبه فارغا بل يعشش فيه الشيطان ويبيض و
يفرخ ثم يزوج افراخه ايضا ويبيض مرة اخرى ويفرخ وهكذا يتوالد نسل الشيطان توالدا
اسرع من توالد سائر الحيوانات لان طبعه من النار واذا وجدت النار الحلفاء اليابسة
كثر توالدها فلا يزال يتوالد النار من النار ولا ينقطع البتة بل يسري شيئا شيئا على
الاتصال فالشهوة في نفس الشاب للشيطان كالحلفاء اليابسة للنار كما لا يبقى النار اذا
لم يبق لها قوت وهو الحطب فلا يبقى للشيطان مجال اذا لم يكن شهوة فاذا اذا تاملت
علمت ان اعدى عدو لك شهوتك وهي صفة نفسك ولذلك قال الحسين بن منصور الحلاج
حين يصلب وقد سئل عن التصوف فقيل ما هو فقال هي نفسك ان لم تشغلها شغلتك
فاذا حقيقة الصبر وكماله الصبر عن كل حركة مذمومة وحركة الباطن اولى بالصبر
عن ذلك وهذا صبر دائم لا يقطعه الا الموت **بيان دواء الصبر وما
يستعان به عليه اعلم** ان الذي انزل الداء انزل الدواء ووعد الشفاء فالصبر
وان كان شاقا او ممتنعا فتحصيله ممكن بمعجون العلم والعمل فالعلم والعمل هما الاخلاط
التي منها تركب الادوية لامراض القلوب كلها ولكن يحتاج كل مرض الى علم
اخر وعمل اخر وكما ان اقسام الصبر مختلفة فاقسام العلل المانعة مختلفة واذا
اختلفت العلل اختلف العلاج اذ معنى العلاج مضادة العلل منها وقمعها
واستيفاء ذلك مما يطول ولكنا نعرف الطريق في بعض الامثلة فنقول اذا افتقر
الى الصبر عن شهوة الوقاع مثلا وقد غلبت عليه بحيث ليس يملك معها فرجه او يملك
فرجه ولكن يملك عينه او يملك عينه ولكن ليس يملك قلبه ونفسه اذ لا تزال
يحدثه بمقتضيات الشهوة ويصرفه ذلك عن المواظبة على الذكر والفكر والاعمال الصالحة
فنقول قد قدمنا ان الصبر عبارة عن مصارعة باعث الدين مع باعث الهوى وكل

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)